

***تمهيد:**

معظم الدراسات التي طبقت الأسلوبية كمنهج نقدي يعتمد على معاد خصب، اشتغلت وفقا لمستويات يستند بعضها على اللغة وبعضها على البلاغة وثمة ماله صلة بمباحث النقد والأدب عامة، فمن خلال تتبعنا لبعض التطبيقات على الشعر، وجدناها تقريبا تشتغل على أربع مستويات بارزة؛ مستوى صوتي، ومستوى إيقاعي، ثم مستوى تركيبى، فمستوى دلالي، وعن المستوى الصرفي فعادة ما يدمج مع التركيبى، ومستوى الصوة الشعرية أو البلاغية فمرة يدمج مع الدلالي ومرة يدمج مع التركيبى، ويمكن للدارس أن يشتق من هذه المستويات ما يناسب نصه الذي يشتغل عليه. ليتوغل إلى كنهه ويتعرف على نواميسه.

ومن ثم نجد الأسلوبية كمنهج أو مجموعة إجراءات تتميز عن باقي المناهج الأخرى (التاريخي، الاجتماعي، النفسي) بأنها لا تنطلق من فرضيات جاهزة، بل تبحث في النص عما يخص أسلوبه ويميزه عن غيره من النصوص وأساليب المبدعين المختلفة، فالنص في الدراسات الأسلوبية غاية وليس وسيلة كباقي المناهج التي ذكرناها.

وإذا كان الغرب يدعي السبق إليها، فإنّ لجهود علمائنا العرب الأقدمين السابقين كل الفضل في ممارستها على النصوص العربية الأولى وفي ذلك ما ذكره الدكتور: إبراهيم خليل في كتابه (الأسلوبية ونظرية النص)،

عن إعجاز الأسلوب القرآني عند الباقلاني ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني والتماسك النصي أو الوحدة الموضوعية عند حازم القرطاجني، وبذلك يجد القارئ لهؤلاء ظواهر أسلوبية متنوعة لدى نقادنا العرب الأقدمين¹.

***01/ الداسون المحدثون في الدرس الأسلوبي:**

يبدو أنّ الباحثين العرب المحدثين لم ينتبهوا إلى (الأسلوبية) إلا في حدود منتصف القرن السبق، حين أصدر أحمد الشايب كتابا بعنوان (الأسلوب) أعقبه كتاب آخر بالعنوان نفسه

¹ عيد الحفيظ حسن: المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي، دم ن، ص126، 127.

(الأسلوب) للباحث محمد كامل جمعة، وتوالت كتب كثيرة في هذا المجال منها (الأسلوبية والأسلوب نحو بديل السنّي للنقد الأدبي) للدكتور عبد السلام المسدي، وهناك ترجمات دقيقة لكتب أوروبية في مجال الأسلوبية، فضلا عن زخم من المقالات والدراسات المنشورة في المجالات والصحف. -لا بأس أن نعرض بعض المساهمات حسب تاريخ إصدارها للتمكّن من ملاحظة الفروقات والإضافات-

*02/ محمد الهادي الطرابلسي في كتابه "خصائص الأسلوب في الشوقيات (منشورات الجامعة التونسية 1981):

تعرض هذه الدراسة لشعر أحمد شوقي ممثلاً في ديوانه: "الشوقيات المجهولة" فقط، وبحثه من عدّة جوانب أسلوبية منها البلاغة والنحو والعروض وحاول أن يصل إلى نتائج تتصل بأسلوب شوقي "وفي هذه الدراسة جهد عظيم يقلل منه أمران: الأول: عدم اعتماد الجانب الإحصائي في تحليل الظواهر الأسلوبية إلا في دراسة العروض والقوافي... والثاني: عدم تعميق القضايا المبحوثة، ويرجع ذلك إلى الكم الهائل من الظواهر التي تعرّض لها البحث وتشعبها بين فروع اللّغة المختلفة"¹.

وقد عرض الدكتور "فتح الله أحمد سليمان" في كتابه "الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية" هذه الدراسة وما توصلت إليه من نتائج في المستويات المختلفة:

-مستوى المسموعات: الموسيقى.

-ومستوى الملموسات: المقابلة وتعبيرها عن الحركة.

-ومستوى المرئيات: الصور.

-والهيكل الداخلي للكلام: التراكيب والأساليب².

¹ عبد الحفيظ حسن: المنهج الأسلوبية في النقد الأدبي، ص128.

² فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص57 وما بعدها.

***03/ الدكتور سعد مصلوح، في كتابه: الأسلوب-دراسة لغوية إحصائية (دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1984):**

استعان في دراسته التطبيقية بعمليات الإحصاء، محاولاً أن يلتمس المعايير الموضوعية لدراسة الأدب لتصبح عملية المنهج منضبطة الوسائل معتمداً على الجانب الإحصائي؛ حيث يقدم الإحصاءات ويحلل بياناتها ويستخلص نتائجها. وعرض في كتابه بعض المقاييس الكمية التي تستخدم في تحليل الأساليب واختيارها مع التطبيق لها على عدد من النصوص العربية -نثراً وشعراً- شملت نماذج من لغة الصحافة، ومن أعمال طه حسين والعقاد وأحمد شوقي ومحمد عبد الحليم عبد الله ونجيب محفوظ، فجمع بذلك بين الناحيتين النظرية والتطبيقية. والفكرة التي قام عليها كتابه هي استخدام النسبة بين الصفات والأفعال في النصوص مؤشراً إحصائياً يتم على أساسه تشخيص الأساليب وسير العلاقة بين الكاتب وأبطال عمله المسرحي أو الروائي، وتمييز الشعرية من النثرية، وتمييز فنون الشعر المختلفة¹.

***04/ محمد أحمد بريري: الأسلوبية والتقاليد الشعرية دراسة في شعر الهذليين:**

بدأ بريري دراسته بتوطئة تحدت فيها عن مفهوم الدراسة الأسلوبية وفكرة التقاليد الأدبية في مجال النقد، ثم انتقل إلى الحديث عن تفاعل شعراء هذيل مع تقاليد التراث الشعري العربي، ولكن على الرغم من التزامهم بنفس الموضوعات التي يدور في فلكها الشعر العربي كله آنذاك؛ فإن ذلك لم يمنعهم أن تكون لهم تجاربهم المتميزة المتسمة بالتنوع والثراء. ووقف "د. بريري" بعد ذلك عند ظاهرتين أسلوبيتين في أشعارهم: الأولى: توارد أكثر من شاعر منهم على تراكيب بعينها تدور حول حتمية القدر رغم التزامهم بعناصر شعرية تقليدية كوصف الحمار والثور الوحشيين وأنهم ربطوا على الدوام بين هذين الحيوانين والرّامي الذي يسعى وراءها لاصطيادها، وذلك يدلّ على انشغالهم بفكرة المصير الحتمي، والأخرى: ربطهم بين الخمر والمرأة ربطاً يميّز خمرياتهم عن نظيرتها عند الشعراء الآخرين وإذا كان المؤلف قد ركّز على السمات العامة

¹ عيد الحفيظ حسن: المنهج الأسلوبية في النقد الأدبي، ص129.

التي ربطت بين شعرهم بصفة عامة فإنه قد أغفل ما لدى كل شاعر من سمات فردية لكل شاعر منهم¹.

***05/ الدكتور محمد عبد المطلب: بناء الأسلوب في شعر الحداثة - التكوين البديعي:**

ينقسم الكتاب إلى قسمين رئيسيين، الأول منهما تنظيري، تحدّث فيه عن بناء الأسلوب ومفهومه في تراثنا القديم وفي تيار الفهم الغربي، وفلسفة البلاغة في البيان والمعاني والبديع، وامتداد معنى الأخير ليتّصل بمعنى الحداثة، وما دار حوله من جدل ونقاش بين رفض وقبول، وتناول كذلك دور البديع في بنية الجملة والعمل الأدبي ككله، وطبيعته التكرارية التراكمية وانصرافه غالبا إلى المدلولات لا الدوال.

القسم الثاني: من الكتاب دراسة تطبيقية، وفيه استغلّ الإمكانات التعبيرية التي كشف عنها البلاغيون دون أن يوظّفوها بدرجة كافية في الكشف عن بنية العمل الأدبي، فرصد الظواهر الكلية التي سيطرت بوعي أو بدون وعي على شعر الحداثة، ثم برزت هذه السيطرة في تشكيلاتهم اللغوية على نحو أكسبهم خصوصية لا تتجاوزهم إلى غيرهم. ومن خواص الصياغة في شعرهم اعتماد المفارقة التعبيرية كوسيلة أولية لإنتاج الدلالة، والتلاحم بين طرفيها، من حيث تتم الرؤية للجانبين من زاوية واحدة، على معنى أنّ كلّ جانب يتميّز بشفافية لا تخفي الجانب الآخر منه. ومن الخواص اللغوية في شعر الحداثة أنّها تقوم على خلخلة التوازن بين الدال والمدلولات، والطبيعة الرمزية أو الإشارية الشعرية لبنية أسلوبهم، وجمعهم بين العام والخاص على صعيد واحد، وإشراكهم المتلقّي في عملية الإبداع باستخدامهم الفراغات والنقطة والخطوط وتنسيق الأسطر على نحو معيّن².

***06/ الدكتور يوسف حسن نوفل: الصورة الشعرية والرمز اللوني (دار المعارف، القاهرة،**

1925):

¹ محمد أحمد بريري: الأسلوبية والتقاليد الشعرية دراسة في شعر الهذليين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995، ص38.
² محمد عبد المطلب: بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995، ص433.

درس في الكتاب ألوان في الصّرة الشّعريّة دراسة إحصائيّة في شعر البارودي ونزار قبّاني وصلاح عبد الصّبور. واتّخذ ذلك مدخلا فهم الصّرة الشّعريّة والتعرّف على أنماطها، ووجوه التأثير فيها، وإدراك الدلالات المثارة بواسطة اللّون، ودراسة دور الحوّاس في الصّورة، والصلّة المؤدّية إلى الذهنيّ المجرّد. وقد وسع مجال الرّؤية الفنيّة، حيث شملت اللّون في دوره منفردا، ووروده مزدوجا أو مركّبا أي ممتزجا بغيره من الألوان، ومتّصلا بغيره من المحسوسات، ثمّ وردود اللّون المحسوس من خلال المجرّد، ثمّ ما يثيره اللّون من إحياء. وقد اعتمد كذلك على المنهج الفنّي الإحصائي، فأحصى ورود الألوان لدى من اختارهم من الشعراء وصنّفها، وفسّر دلالتها الرّمزية والإيحائيّة¹.

**07/ إبراهيم عوض في كتابه عنتر بن شدّاد قضايا إنسانية وفنّية (دار النهضة العربيّة، 1966):*

وفيه فصلان، تناول في أحدهما بالتّحليل الأسلوبيّ شعر عنتر بن شدّاد الذي ثبتت صحّة نسبته له لدى العلماء القدماء المحقّقين، وحاول في الآخر استخلاص السمّات الأسلوبية التي تميّز شعره المنحول عليه. وخرج من المقارنة الأسلوبية والمضمونية التي تميّز بها هذان اللّوان من الأشعار بعدد من الفروق بين شعره الصّحيح والمنحول عليه².

**08/ أحمد درويش في كتابه متعة تذوق الشعر دراسات في النّص الشعري وقضاياها:*

قدّم فيه قراءات متنوّعة لنصوص شعريّة قديمة ومعاصرة، وقد بدأ بالقراءة القديمة ثمّ قدّم بعض النّماذج المعاصرة. وكانت قراءته تتطّلق أحيانا من قصيدة واحدة لشاعر من الشعراء كما في تناوله لبردة كعب بن زهير، ومرثية أبي ذؤيب الهذلي، وسينية البحري، ولكنّه تجاوزها في بعض الأحيان إلى قراءة ديوان أو تتبّع ظاهرة في إنتاج شاعر ما، كما في تناوله لفكرة الحرّية في الشعر العربيّ القديم، أو ظاهرة النّمو والتّقابل في شعر خليل مطران، أو الرّؤية عبر الجدران المتداخلة عند فاروق شوشة، وغير ذلك.

¹ عيد الحفيظ حسن: المنهج الأسلوبيّ في النّقد الأدبي، ص132.

² المرجع نفسه، ص132.

وفي مقارباته للنصوص الشعريّة القديمة كانت له رؤيا جديدة ونظرات تخفت من المسلمات المسبقة، فجاء تذوّقه للنصوص على محو لا يطابق الطّريقة التي انتهجها الأقدمون وهم يتذوّقونه، وذلك من خلال فهم أسرار التراكيب والعبارات. وقد استطاع أن ينفذ من أراض الأمور إلى جواهرها، وأن يصل إلى مخاطبة الرّوح الإنسانيّة، وهي هدف الشّاعر الذي توخّاه في القديم وحاول الوصول إليه ونجح في ذلك من خلال استغلال الأطر الثقافيّة والفنيّة المحيطة به تغييرا وإيحاء وإيماء. ومن هذا المنطلق يقول المؤلّف: "وعلى النّاقد المعاصر أن يعطي لهذه الحركة قوّة دفع أخرى من خلال الأطر المحيطة بقارئه العصريّ تعميقا لمحاولات الشّاعر القديم والنّاقد القديم".

والمؤلّف هنا يعطي للنّاقد دورا لا يقلّ أهميّة عن دور المنشئ، ويشبه النّص الشعري في يد النّاقد الجاد بالنّوتة الموسيقيّة في يد العازف الماهر؛ "يمكنه مع المحافظة -على جواهرها- أن يستخرج منها ألحانا جديدة لم تكن ممّا توصلّ إليه عازفها الأوّل، وليس من الصّور أن تكون قد تجسّدت بنفس الطّريقة في خيال مبدعها القديم، فالنّص منذ لحظة انفصاله عن مبدعه يصير ملكا للغة ونظمها الإشاريّة والدّلالية وإيحاءاتها التي لا تنتهي"¹.

***09/ صلاح فضل: وله في مجال الدّراسة التّطبيقية كتابان:**

الأوّل: أساليب الشعريّة المعاصرة: أراد فيه أن يجمع بين ضبط المنهج وتحرّر التطبيق. والتّصور الذي اختاره لمفهوم الشّعر الحديث يتأسّس على قطبي التّعبير والتّوصيل، الأمر الذي يسمح باستيعاب الأفق اللّغوي للظّاهرة، وتجاوزه إلى العوامل المدركة لأنماط القراءة والفهم، بما يدخل في قلب نظريّة النّص، ويستوعب جماليات التّلقّي.

والمحور الذي ترتكز عليه هذه الرّؤية يقوم على ربط درجة الشعريّة "بعدد محدّد من المقولات المرنة، بحيث تشكّل شبكة مكوّنة من مجموعة تحالفات تربط درجة الإيقاع بدرجة النّحوية والانحراف في تصاعدهما الحسيّ، كما تصل مستوى الكثافة في النّص بدرجة النّحوية

¹ أحمد درويش: متعة تذوّق الشّعر دراسات في النّص الشعري وقضاياها، دار غريب، القاهرة، مصر، ص 05.

والانحراف في تصاعدهما الحسيّ، كما تصل مستوى الكثافة في النصّ بدرجة تشبّهه وتماسكه أو تجرّيدته¹.

وقد ربط "صلاح فضل" في دراسته بين فكريّ التعبير والتّوصيل، واعتبر فهم "التّعبيرات الشعريّة" مناط التّصنيف الموضوعيّ للتّوزيعات الأسلوبية. وعدل في الاستشهاد عن طريقة اجتزاء الفقرات الشعريّة القصيرة للتّدليل على القضايا التحليلية الكبيرة، وآثر استحضار القصائد كاملة ومطارحتها نقدياً بشكل يستوعب أبرز مكوّناتها ويلتقط أهمّ أبنيتها التعبيرية. واختار الأنماط البارزة من الأساليب الشعريّة المعاصرة، فاكتفى بأربعة شعراء تعبيريين هم: نزار قبّاني نموذجاً للأسلوب الحسيّ، وبدر شاكر السياب نموذجاً للأسلوب الحيويّ الذي يوسع المسافة بين الدّال والمدلول نسبياً، ويعمد إلى الكسر اليسير لدرجة النّحوية، وصلاح عبد الصّبور للأسلوب الدرامي الذي يتجلّى فيه تعدّد الأصوات والمستويات اللّغوية، وعبد الوهاب البيّاتي للأسلوب الرّؤيوي الذي يفتر فيه الإيقاع الخارجيّ بشكل واضح، وتنحو شبكة الصّور لنسج غلاف يشفّ عن رؤى كليّة بارزة، ثمّ محمود درويش كعلامة على إمكانيّة التحوّل بين مختلف هذه الأساليب... وفي الجانب التجريدي يقف أدونيس وحده تقريباً، أمّا في التيار الثّالث فقد اختار سعدي يوسف ومحمّد الماغوط وعفيفي مطر لما يمتاز به كلّ واحد منهم من نهج خاص في الجمع بين التّعبير والتّجريد.

والكتاب الثّاني "نبرات الخطاب الشعري": قدّم فيه "صلاح فضل" قراءات متفاوتة الإيقاع لشعراء متعدّدي النّبرات، تتلمّى خطابهم الشعري بإنصات، وتستطلع ملامح جماله برويّة وإنصاف، ولا تعتدي على النّصوص انتصاراً لنظريّة جاهزة في الشعريّة. وإذا كان في بحثه السّابق عن "أساليب الشعريّة المعاصرة" قد قام بتركيب مفهوم مركز لإحدى نظريّات الشعريّة وعمد لاختياره وتعديله في ضوء المنجز الشعري في الآونة الأخيرة، تختبر شبكة علاقات بجمهوره، وتحقّقاته في ذاته، وتقيس مدى خصوصيّة وتأثيره².

¹ صلاح فضل: أساليب الشعريّة المعاصرة، دار قباء، القاهرة، مصر، 1998، ص09.

² صلاح فضل: نبرات الخطاب الشعري، دار قباء، القاهرة، مصر، 1998، ص06.

وقد تمثل الخطاب القومي في شعر نزار قبّاني من خلال قصائده السياسية، والتي تتماهى فيها "أنا" الشاعر في معظم الأحوال مع "نحن" الجماعية وتتجاوز غالبا حدود الفردية لتلقي بظّلها على "أنا" القارئ وتحتضنه.

واتّضحت استراتيجية الخطاب الشعري عند حجازي، والتي تمرّدت على وجدانية الرومانسيين المراهقة وعلى خطابة الإحيائيين في الآن ذاته، لتقدّم نمطا ثالثا يتّجه إلى الآخرين ويحتضنهم ويبتهم فكرا شعريا طازجا لصيقا بالتجربة الحيوية المعاشة ومتغيّراتها الملموسة.

ثمّ جاءت متابعته النصية لعوالم الفيتوري الشعرية وخصائصه الأسلوبية في دورة الزمن (في زمن الشعر)، والأبنودي ولسان الشعب، وأحمد تيمور وشعر الأطباء، ومن حركات الشعر الصّافي، جاءت قراءة في مختارات سعدي، وبلند الحيدري وشعرية الصّمت، وأبو سنّة يكلم ورد الفصول، وفاروق شوشة صوت الشعر، ومن النبرات الحادة الغزل الشعري الرفيع لحلمي سالم وصدمة الاختلاف في شعر عبد المنعم رمضان، وقراءة الموت في كتاب الحياة مع أحمد الشّهاوي، وشعرية النّفي عند محمّد سليمان¹.

¹ عيد الحفيظ حسن: المنهج الأسلوبية في النّقد الأدبي، ص136، 135.